

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مجلة

الغلسفة

مجلة أكاديمية محكمة تصدر عن كلية الآداب في الجامعة المستنصرية

AN ACADEMIC PEER-REVIEWED JOURNAL



ISSN:1136-1992

التقييم الدولي

DOI: 10.35284

المعرف الدولي



العدد 24 2021

الغلسفة

12/2021

مجلة الفلسفة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية يصدرها قسم الفلسفة

المجلة حاصلة على المعرف الدولي
تحت رقم prefix :10.35284

رئيس التحرير
د. رائد جبار كاظم

الهيئة العلمية الاستشارية

1. د. يمينى طريف الخولي – كلية الآداب – جامعة القاهرة- مصر.

2. د. عفيف حيدر عثمان - الجامعة اللبنانية – لبنان .

3-Professor: Juan Rivera Palomino- San Marcos – Peru

4. د. مصطفى النشار – كلية الآداب – جامعة القاهرة – مصر.

5. د. احمد الوشاح – كليات كليرمونت – كلية بيتزر- لوس انجلس – امريكا

6. د. احسان علي شريعتي – كلية الآديان – جامعة طهران – ايران

7. د. افراح لطفي عبد الله – كلية الآداب – جامعة بغداد – العراق

8. د. عامر عبد زيد الوائلي – كلية الآداب – جامعة الكوفة – العراق

9. د. محمد حسين النجم - كلية الآداب – الجامعة المستنصرية – العراق

البريد الالكتروني

art.phi_magazine@uomustansiriyah.edu.iq

الترقيم الدولي: Issn (١١٣٦-١٩٩٢)

فهرست بدار الكتب والوثائق وايداعها تحت رقم (٧٤٢) لسنة (٢٠٠٢)



العدد الرابع والعشرون

كانون الاول

٢٠٢١/١٢

مدير التحرير

أ.م.د. حيدر ناظم محمد

كلية الآداب - المستنصرية

سكرتير التحرير

م.د. أسماء جعفر فرج

كلية الآداب - المستنصرية

الاشراف اللغوي

م.د. منار صاحب

كلية الآداب/المستنصرية

اخراج وتنضيد

م.م. أنير محمد مجيد

مسؤول الموقع الالكتروني

المهندسة

ريهام ماجد عبد الكريم

نصميم وطباعة

مكتب الأثير

للنشر والطباعة

الفلسفة

مجلة علمية محكمة يصدرها قسم الفلسفة

المحتويات

كلمة رئيس التحرير

- ٢٢-١ يوسف بن عدي مفهوم الواحد قراءة في آراء الفارابي وابن رشد
- ٤٢-٢٣ أ.د. نائلة أحمد نائل الجبوري
صفا مصطفى مهدي الأساليب التنظيمية الدعوية للفكر الإسماعيلي
- ٦٠-٤٣ أ.د. رحيم محمد الساعدي
م.م. حيدر عبد السادة جودة أنسنة الوحي
قراءة نقدية في موقف الخطاب الحدائوي للنص الديني
- ٨٠-٦١ م.د. منى فليح حسين مفهوم العقل عند الكندي والفارابي
- ١٠٠-٨١ أ.م.د. باقر ابراهيم الزبيدي المثالية الألمانية وتأويلاتها للمسيحية
- ١٢٠-١٠١ أ.م.د. سالي محسن لطيف فلسفة العقل عند نيكولاس مالبرانش
- ١٢٩-١٢١ أ.م.د. حيدر ناظم محمد
حوراء حميد محسن الليبرالية السياسية عند براتراند رسل
- ١٣٠-١٣١ م.د. هجران عبد الإله احمد الفئاع-قراءة في ضوء فلسفة نيتشه
- ١٤٦-١٣١ أ.م.د. محمد حسين النجم
د. سحر علاوي عزوز دور الابطال في بناء الدول عند هيردوت
- ١٦٤-١٤٧ أ.م.د. احمد عبد خضير
م.م. اسماء جعفر حرية الإرادة عند توما الأكويني
وجون دنس سكوت



العدد

الرابع والعشرون
كانون الاول
٢٠٢١/١٢

عنوان المراسلة
العراق-بغداد-الجامعة المستنصرية
كلية الاداب/قسم الفلسفة

ص.ب: ١٤٠٢٢

تلفون: ٤١٦٨١١٩٨

art.phil_magazine@
uomustansiriyah.edu.iq

القناع — قراءة في ضوء فلسفة نيتشه

م.د. هجران عبد الإله أحمد^١

ملخص:

وجد نيتشه نفسه في عصر اشبه بحفلة تنكرية، واغلب قيم عصره مجرد قيم زائفة مخادعة ومتنكرة، فما كان منه إلا أن يعمد إلى مطرقته ليدمر تلك الأقنعة ويحطمها، ليكشف عن الوجه الحقيقي المتخفي، حيث نزع قناع القداسة عن عالم الحقيقة ليغدو مجرد فكرة زائفة من اختلاق العقل البشري، ونزع قناع الأخلاقيات المسيحية، من أجل إعادة الفضائل إلى الإنسان، ولتعود القيم أشد التصاقاً بالأرض والحياة، وعلى الرغم من رفض نيتشه التخفي وراء الأقنعة إلا أنه لم يخفي إعجابه بالقناع وبكل شيء عميق، فهو يرى أن النوع الإنساني كلما ارتفع وارتقى ازداد استخدامه للقناع. لذا كان القناع عنده بمثابة استراتيجية فلسفية ذات ارتباطات كثيرة، ولم يكن حضوراً عابراً يقتصر على النقد والتدمير، بل يصح القول أن كل شيء في فلسفة نيتشه هو (قناع)، فاذا ارتدى قديماً زعيم القبيلة، وكاهنها، وساحرها، قناعاً دينياً للسيطرة والترهيب، وإخافة أعداءه، نجد نيتشه أيضاً يرتدي أقنعة متعددة للتصوير والتخفي من جهة، ولإظهار هوية جديدة من جهة أخرى، فهوية (الإنسان الأعلى - السوبرمان) هي قناع يختفي وراءه نيتشه بعد كل الحوادث المأساوية التي مرت في حياته، ليعيد رسم خارطة القيم من جديد، وفق ما يتناسب مع شخصية هذا البطل، وهوية هذا القناع، وهو أمر معتاد لدى كل الأبطال الخارقين الذين بدأوا حياة القناع، بعد تجربة قاسية، وحوادث مأساوية، مرت بهم، لذا يصح أن نعد نيتشه أكبر مدمر للأقنعة القديمة ومبتكر أقنعة جديدة.

The Mask: A Reading in the Light of Nietzsche's Philosophy

Senior Lecturer Dr. Hijran Abdul-Ilah Ahmed

Abstract

Nietzsche found himself in an era that can be likened to a masquerade party, and most of the values of his time were merely false, deceptive, and disguised. He had no choice but to use his hammer to strike and destroy those masks, to reveal the true hidden identities, as he removed the masks worn by holy men hiding from the world of truth having become just a false idea of fabrication. He also removed of the mask of Christian ethics, in order to restore the virtues to man, and to

return the values more closely attached to earth and life. Despite the fact that Nietzsche refused to hide behind a metaphorical mask, he could not conceal his admiration for the mask, and everything profound. He saw that the more people climbed up the social ladder and became more prominent and powerful, the more they wore such masks. Therefore, the mask was for him as a philosophical strategy with many connections, that is, it did not have a passing presence that was diminished at the first sight of criticism and destruction. Rather, it is fair to say that everything in Nietzsche's philosophy is a (mask), so if in the old days the leader of a tribe, or its priest, or its magician wore a religious mask to control and intimidate to frighten their enemies, Nietzsche is also found to wear various masks to camouflage and disguise on the one hand, and to show a new identity on the other. The identity of the higher being (Supreme Man - Superman) was a mask behind which Nietzsche would hide after the tragic incidents that happened in his life. In order to redraw the map of human values and virtues, in accordance with the personality of a hero, and the nature of the mask being a trait for all superheroes who commenced their heroics with concealed identities after having harsh experiences, and tragic accidents, so it is correct to say that we consider Nietzsche the greatest destroyer of old masks and the innovator of new ones.

كلمات مفتاحية: القناع، التخفي، الاظهار، الوهم، الحقيقة، نيتشه

The mask, disguise, reveal, illusion, truth, Nietzsche. **Keywords:**

القناع - قراءة في ضوء فلسفة نيتشه

المقدمة:

يتناول هذا البحث الموسوم القناع - قراءة في فلسفة نيتشه، حيث يعدّ القناع واحداً من أهم استراتيجيات التفكير الفلسفي عند نيتشه، فاهتمامه بالقناع كان نابع من اهمية وحضور القناع في الحقل الثقافي والحضاري البشري، فقد وظف القناع في دلالاته الاولى للتمويه والتخفي من اجل اصطياد الطرائد، وللتماهي مع المقدس، والحال لا يختلف كثيراً من وجهة نظر نيتشه، حيث وجد للقناع حضور في تمويه الكثير وخداع الناس، باسم المقدس والقيم العليا، وقيم العالم الميترفيزيقي، فما كان منه الا ان يعمد الى مطرقته ويحطم كل الاقنعة الزائفة، ثم عمد الى استخدام القناع كوسيلة لتمرير كثير من الافكار،

ولابتداع هوية جديدة تائفة متمردة على كل ما هو سائد، ومن اجل الوصول الى فهم كل تلك الحثيات كان لازماً علينا تقسيم محاور البحث الى اربعة محاور تناول الاول منها الاصل اللغوي والاصطلاحي للقناع، والمحور الثاني تناول العناصر المادية والغائية للقناع، والغاية من هذا المدخل، إيجاد الدلالات الأولى لاستخدامات القناع، ثم محور ثالث فتش عن تلك الدلالات في فلسفة نيتشه وفي طريقة تفكيره، متكئين على حياته الخاصة ونتاجه الفلسفي، الذي امتاز بنقده الشديد لكل ما هو زائف وغير حقيقي، وانكاره لكل ما هو متنكر، اما المحور الاخير تناول اقنعة نيتشه، فعلى الرغم من رفضه التخفي وراء الاقنعة ونزع اقنعة الحصانة عن كثير من افكار وقيم عصره، الا انه لم يخف اعجابه بالقناع وبكل ما هو عميق، لذا يعدّ البحث في موضوع القناع عند نيتشه، امر لا يخلو من الصعوبة، ويظن القارئ لولا وهلة ان هناك تناقض في موقفه من القناع، فهو تارة يرفض كل ما هو زائف ومتخفي، وتارة اخرى لا يخفي اعجابه بكل ما هو عميق ومقنع.

١- القنعة لغة و اصطلاحاً:

يورد لفظ القناع بمعانٍ عدة في المعاجم العربية و الاجنبية ، حيث يأتي بمعنى ما تغطي المرأة رأسها، وغشاء القلب، والشيب، وما يستر به الوجه. و يقال: القى عن وجهه قناع الحياء: لم يستح (الزيات ، ١٩٩٥، المعجم الوسيط، ص ١٤٦).
اما كلمة قناع في اللغة العربية مأخوذة من فعل قَنَعَ بمعنى غشى و غطى اي لبس، ولا فرق بين القناع و المقنعة، واللحاف والملحفة (ابن منظور، ١٩٩٢، لسان العرب، ص ٣٠).
أما كلمة masque و mask فتنحدر من الإيطالية mascher التي تعني أسود، وقد تكون متأتية عن اللاتينية المتأخرة التي تعني الساحرة، ولذلك علاقة بعادة تلوخيخ الوجه باللون الأسود في طقوس السحر؛ و masqueam بالفرنسية تعني شخص مقنع او قناع الموت او صورة عن الوجه تؤخذ بضغط الشمع او الطين على وجه الميت، و تعني كذلك معانٍ اخرى مثل كمامة واداة للوقاية من الغازات، او قناع لتسهيل النفس، وكذلك قناع التجميل او طلاء للوجه يجف فيشد البشرة (جبور، ١٩٨٣، المنهل، ص ٦٤٩).

أما القناع المستخدم في التراجيديا فكان يطلق عليه باللاتينية persoa وهي كلمة مأخوذة عن التعبير اليوناني الذي يعني ما يواجه الوجه، والصورة التي يعطيها الانسان عن نفسه للآخرين، ومنها أتت الكلمة اليونانية التي كانت تستخدم للدلالة على الوجه والقناع، وعلى الدور الذي يلعبه الممثل في التراجيديا حيث يضع القناع الخاص به، خاصة وان الممثل كان يؤدي عدة أدوار بالإعتماد على تبديل الأقنعة (الياس، ٢٠٠٣، المعجم المسرحي، ص ٣٥٥).

كما يقال أتاها الرجل مقنعاً بالحديد، وهو المغطى بالسلاح، و قيل هو الذي على رأسه بيضة، وهي الخوذة لأن الراس موضع القناع. وعموماً في اللغة العربية يدل على الإخفاء والستر والكتمان. وكذلك للدلالة على القوة والفروسية والبطولة الخارقة أحياناً، فالمحارب عند لبس الخوذة سيحمي رأسه من الإصابة، و بالتالي يربح المعركة، كما يلعب القناع دور المحارب أمام العدو وقد يوحي باللبس والتوجس والرعب (الزيات، ١٩٩٥، المعجم الوسيط، ص ٥٦).

٢- تاريخية القناع (العناصر المادية والغائية للقناع):

لكي نفهم رمزية القناع لا بد لنا العودة الى تاريخية القناع والبحث في اركولوجيا القناع. فقد عرف الإنسان القناع منذ زمن بعيد وتعددت استعمالاته حسب الحقل الذي استخدم فيه، والغاية التي استخدم من اجلها.

تعود البدايات الأولى للقناع مع ظهور الإنسان البدائي وكان له صلة بالطقوس والاحتفالات المقدسة حيث كان التفتيح حالة اساسية في تلك الطقوس التي كانت تقام احتفالاً بعودة مواسم الصيد او مواسم جني المحاصيل وحتى عند الولادة وكانت تلك الاحتفالات يتخللها الرقص المأتمى والرقصات الحربية والشبقية. ونظراً لارتباط ما هو معيشي (الصيد والزراعة)، مع ما هو طقوسي فقد عكست تلك الاحتفالات هذه العلاقة من خلال تفتيح بعض الراقصين على شكل حيوانات مختلفة وتكشف ذلك الكثير من النقوش الدينية (الياس، ٢٠٠٣، المعجم المسرحي، ص ٣٥٥).

إن الاصول الاولى للقناع كانت محاكاة للطبيعة وتقليد لها، وكذلك المواد التي صنعت منها الأقنعة كانت مصنوعة من الطبيعة الخارجية، كالعظام او الخشب او اوراق الاشجار.

استمر حضور القناع في محاكاته للطبيعة، حيث أخذ الإنسان يستخدمه كوسيلة تمنحه سلطة (قوة الاشياء)، فأصبح الشبه معادلاً للأصل او وسيلة لإنتاج الأصل، بمعنى انه أصبح معادلاً للمحسوس او أداة للسيطرة على المحسوس، فدخل القناع في طقوس السحر واستحضار الأرواح من أجل جمع المحاصيل (ابراهيم، ٢٠٠٩، الانثروبولوجيا والانثروبولوجيا الثقافية، ص ١٤٢).

كما استخدم القناع في مستويات اخرى، مثل الوقاية من العدو، و التمويه على الحيوانات المفترسة، او المتمنعة حتى يسهل صيدها، وكثيراً ما استخدم الإنسان قرون الحيوانات وجلودها وحوافرها، لتشكيل قناع يسخره تارة لأغراض ما فوق طبيعية، وتارة لأغراض الصيد والتنكر، فعلى سبيل المثال نجد القبائل الافريقية استخدمت القناع في طقوسها الدينية، المأتمية، والاحتفالات في مواسم الزراعة والصيد (يوسف، ٢٠٠٠، المسرح

والانثروبولوجيا، ص ١٤-١٥).

ويمكن اختصار القول ان استخدام القناع في المراحل الأولى كان له وظيفتان: وظيفة طقسية تمنحه السلطة، و وظيفة ثانية: للتمويه والتنكر، واستمر هذا الاستخدام للقناع في الحضارات القديمة، ووظف للاغراض نفسها، فاستخدم للتماهي مع الالهة، او في استحضار قوى غيبية من خلال تقليد هيئتها المتخيلة، حتى اعتبر الاندساس داخل قناع مقدس شرف لا يناله الا من يستحقه (ابراهيم، ٢٠٠٩، الانثروبولوجيا والانثروبولوجيا الثقافية، ص ١٦٤).

عرفت الأساطير اليونانية القديمة ايضاً نوعين من القناع (القناع الطقسي والقناع المسرحي)، وارتبط ارتباطاً وثيقاً بالاحتفالات التي كانت تقام للآلهة، وفي المسرحيات التراجيدية والكوميديا (يوسفي، ٢٠٠٠، المسرح والانثروبولوجيا، ص ١٦٦). وتجدر الإشارة هنا ان القناع دخل الى المسرح اليوناني من الباب الديني (الطقوس الدينية)، فقناع الممثل المسرحي انحدر من القناع الطقسي عند اليونان ، والذي هو ليس سوى تعميم للقناع الديني الذي جسد الالهة، فالقناع كان وسيلة للتعبير رمزياً عن مظاهر ما فوق طبيعة، ومع مرور الوقت تحول القناع من وسيلة للتماهي مع الالهة ومع قوى غيبية، الى أداة تستخدم في المسرح، تسمح بإخفاء شخصية الممثل، او أداة تنكر في الاحتفالات الشعبية، وخاصة الكرنفالات فتحول دوره من الاستحضار والتماهي عبر المحاكاة الى نوع من المحاكاة التهكمية التي تعبر عن موقف جديد تجاه المقدس (يوسفي، ٢٠٠٠، المسرح والانثروبولوجيا، ص ١٦٨) .

اذن فالمسرح اليوناني اضاف مستوى آخر للقناع، حيث ساهم في تحويل القناع من أداة اظهار للقوى التخيلية، واداة للتماهي مع القوى ما فوق الطبيعية، الى أداة اخفاء للقوى الموجودة، وللشخص الحقيقية، أي إخفاء ما هو فردي وذاتي، من اجل ما هو جماعي وموضوعي.

ونجد أول من تكلم عن حضور ودور القناع في المسرح هو ارسطو في كتابه (فن الشعر) حيث يشير الى القناع والاقنعة في حديثه عن المرثيات المسرحية، التي تشكل اثرًا تراجيدياً في الجمهور، ويرى للقناع دور كبير في العمل المسرحي الى جانب ادوات اخرى كالديكور، والازياء، وحركات الممثل، والقائه (ارسطو، بلا ت، فن الشعر، ص ٢٨). كما تطرق ارسطو ايضاً الى حضور القناع ضمناً عند مقارنته بين (التراجيديا والملحمة) من حيث تشخيص الادوار والانتقال من ممثل واحد الى ممثلين ثم الى ثلاثة ممثلين، إلا ان هذا لا يعني أن شخوص المسرحية اليونانية كانت محدودة في ثلاثة فقط، لأن الممثل كان يسند اليه اكثر من دور، وكان يتحرك بين هاته الادوار اعتماداً على الأقنعة وتبديل الازياء والأصوات الدينية (الياس، ٢٠٠٣، المعجم المسرحي، ص ٣٥٦).

كذلك نجد إسهام آخر للمسرح الياباني في إعطاء بعد جمالي للقناع، حيث ارتبط القناع بالمقدس بشكل قوي، وشكل عنصراً أساسياً في الطقوس المقدسة أو في الأعمال المسرحية في اليابان، وعمل المسرح الياباني على تحويل القناع من أداة مقدسة ترتبط بتخيل وتمثيل الالهة على خشبة المسرح، وتجسيد قوتها، وتحويلها الى عنصر جمالي، فأضافت اليه الإكسسوارات والالوان، ولهذا يحسب الاسهام للمسرح الياباني في نقل القناع من الاطار الديني الى الاطار الجمالي، وحافظ القناع على حضوره القوي في المسرح الوسيط والحديث والى يومنا هذا على مكانة قوية. (يوسف، ٢٠٠٠، المسرح والانثروبولوجيا ص ١٦٦).

اما حديثاً فقد ظهرت للقناع مظهرت كثيرة وعلى مختلف المستويات الاجتماعية والسياسية والثقافية والفنية. حتى بات حضوره كحالة جمالية وفنية، و وقاية، او كحالة ترمز للتمرد ولكسر القوانين، واذيف له العديد من المهام والارتباطات والاشتراطات حتى اصبح جزء من عالم يتسم بالسيولة والتغير الدائم والمتسارع.

٣- منطق القناع عند نيتشه (آلية التخفي والتجلي):

بعد البحث في أصل كلمة القناع وبيان دلالة الجذر اللغوي للكلمة وللعلة الغائية والمادية للقناع، يمكن تلخيص القول ان للقناع وظيفتين اساسيتين هما (التخفي والتمويه) من جهة (والتجلي والإشهار) من جهة اخرى، وسنحاول البحث عن آليات التخفي والتخلي في النص الفلسفي النتشوي، حيث يستخدم نيتشه القناع كاستراتيجية في التفلسف وبارتباطات كثيرة.

لا يخفى على الكثيرين من الباحثين في فلسفة نيتشه ان فلسفته تعد محاولة شرسة للتصدي لكل الثنائيات التي عرضها تاريخ التفلسف، فالفلسفة من وجهة نظره كانت قائمة على فكرتين اساسيتين: هما التمييز بين المظهر والجوهر وفكرة وجود حقيقة تكمن وراء عالم الظواهر والمحسوسات، وعد هذا التقسيم نوع من انواع الانحطاط الفكري «ان تقسيم العالم الى عالم حقيقي، وعالم ظواهر سواء على الطريقة المسيحية او على طريقة (كانط) نوع من انواع الانحطاط، عرض عن حياة في طور الانحدار (نيتشه، ٢٠١٠، غسق الاوثان، ص ٤٣).

لهذا جعل نيتشه مهمته الأهم هي الاطاحة بهذه الثنائية، وكشف زيف وكذب الادعاء بوجود عالم حقيقي مثالي وراء عالم الظواهر، وعد هذه المهمة آخر وافضل انجاز تعتد به البشرية (نيتشه، ٢٠٠٩، هذا هو الانسان: ص ١٤).

إن كشف زيف هذا الادعاء هو بمثابة كشف للأقنعة، فالعالم الحقيقي هو مجرد فكرة يقينية لدى البعض، لكن في الحقيقة هي مجرد فكرة مقنعة بقناع القداسة، فنيشه يرى القول بأن هذا العالم المنيع الذي لا يمكن إدراكه ولا إقامة الدليل عليه او

بلوغه الا بواسطة الإنسان الحكيم الورع الفاضل مجرد زيف وادعاء كاذب، حتى انه عُد القول بالحقيقة مجرد فكرة مقنعة «العالم الحقيقي كشيء يمكن ان يدركه الحكيم المتدين صاحب الفضيلة ... انه الشكل الارقى لفكرة ذكية نسبياً، بسيطة مقنعة» (نيتشه، ٢٠١٠، هذا هو الانسان : ص٤٥) . نلاحظ هنا يمارس نيتشه استراتيجية نزع الأقنعة من أجل رفض ربط ما هو ظاهري بما هو سطحي و ضحل، و ما هو عميق بما هو حقيقي و يقيني، والتأكيد على ان عالم الظواهر السطحي هو العالم الوحيد المتبقي بعد إبطال فطرة العالم الحقيقي (نيتشه، ٢٠١٠، هذا هو الانسان، ص٤٧) .

يرى نيتشه البحث عن عالم الحقيقة نوع من الحمق لان الحقيقة اشبه بقناع ملون «طالب الحقيقة، لا شيء سوى أحمق، لا شيء سوى حيوان مفترس مكر متسلل، عليه ان يكذب دوماً عن وعي وقصد متلهفاً الى الطريدة تحت اقنعة ملونه» (نيتشه، ٢٠٠٧، هكذا تكلم زرادشت: ص٥٥٢). فطالب الحقيقة ليس سوى شخص أحمق متنكر بقناع وهي إشارة صريحة الى تقنيات استخدام القناع من قبل طالب الحقيقة، ويقول ايضاً: «الحقيقة ليست سوى قناع زائف لمهرج يكذب بأحاديث منمقة» (نيتشه، ٢٠٠٧، هكذا تكلم زرادشت: ص ٥٥٢) .

لم يقف سعي نيتشه عند تحطيم قناع الحقيقة بمطرقته وإنكار ادعاء الوجود الحقيقي وكشف كذب ادعائهم، بل يذهب الى ابعد من ذلك فهو يرغب بتحطيم كل ما تحمس له الناس من مفاهيم مرتبطة بعالم الحقيقة مثل (الله)، (النفس)، (الفضيلة)، (الخطيئة)، (الحياة الخالدة)،... وغيرها من المفاهيم الميتافيزيقية التي سيطرت على تاريخ الفلسفة عموماً، وتاريخ الفلسفة الغربية خصوصاً، فحسب اعتقاده لم تكن الفلسفة فيما مضى قادرة على البقاء لولا استخدامها لقناع ديني زاهد «ان الفلسفة كانت فيما مضى مستحيلة بدون قناع نسكي» (نيتشه، ١٩٨١، اصل الاخلاق وفصلها: ص١٢٤)، حتى الفيلسوف من وجهة نظره ليس سوى تطور للنموذج الكنسي (نيتشه، ٢٠١١، ارادة القوة، ص١٩١) .

ان نزعة نيتشه التدميرية نابعة من نظرة عميقة للواقع الذي يعيش فيه، والذي شخص فيه كثير من الزيف والتنكر، لذا سعى الى تحطيم كل الأقنعة التنكيرية، وسعى الى تحطيم كل القيم السائدة في عصره، وإبداع قيم جديدة تتناسب مع هويته الجديدة، وقناعه الجديد، المتمثل بهوية البطل الخارق (الإنسان الاعلى)، و هو أمر إعتاد كل الأبطال الخارقين إتباعه.

أرجع نيتشه اسباب انحطاط عصره الى سلطتين: هما (سلطة العقل) و(سلطة الدين)، فالفلسفة العقلية تؤمن بقدرة العقل على اكتشاف الحقيقة التي افترضت

وجودها مسبقاً، كما تؤمن بوجود منزلة الهية للإنسان (نيتشه، ٢٠١٠، غسق الاوثان: ص٤١)، وترجع هذه السلطة (السلطة العقلية) كل القيم الانسانية الأخلاقية والجمالية، تربطها بنظرية المعرفة وترجعها الى مصدر ما فوق إنساني «القيم الاخلاقية والجمالية، حتى في نظرية المعرفة، انطلقت من الثقة بالعقل، وافترضت العالم المتغير، عالم المظاهر انه عالم متناقض، من اجل الحفاظ على متعة القيم، والقيم العليا» (نيتشه، ٢٠١١، ارادة القوة: ص٢٥٣).

اما السلطة الدينية متمثلة بفكرة الله، فقد عدّها احدى أفسد الافكار وهي فكرة من اختلاق العقل البشري، وهي فكرة معادية للحياة وللرغبة في الحياة «اخترع الانسان مفهوم الله على انه المفهوم المقابل للحياة، هو كل شيء ضار، ومسمم، وفاضح، ومعادٍ تماماً للحياة، كلها معانٍ مترابطة معاً في وحدة مخيفة، وان مفهومي الماوراء والعالم الحقيقي قد اخترعا حتى لا تترك اي هدف، اي دلالة مهمة لحقيقتنا الارضية» (نيتشه، ٢٠٠٩، هذا هو الانسان : ص١٨٣).

لذا بات على نيتشه ارتداء قناع التمرد على هذه المفاهيم ليثور ليس للدفاع عن مجتمعه على غرار قناع (spider-man) (او قناع (the mask of zorro) او (superman)، كمدافع عن القيم الاجتماعية والعدالة، لكن على غرار شخصية المقتنع (V for vendetta)، قناع الثورة والتمرد ضد المجتمع وقوانينه، وضد القيم القائمة قيم الانحطاط والانحلال، وفرض نظام جديد وقيم جديدة تعلي من قيم البطولة والشجاعة.

من أجل الوصول الى هذه الغاية كان لا بد لنيتشه ان يعلن (موت الله)، وتحرير الفلسفة والقيم من قناعها النسكي، وتخليصها من هذه الفكرة الزائفة، (فموت الله) بمثابة رفض لمفهوم الحقيقة والغاء لمفهوم الآخرة من حقل الثقافة، وازاله أي اعتقاد بوجود عالم مفارق للعالم الارضي، عالم المحسوسات، وعند الغاء الإيمان (بفكرة الله، والعالم الاخر)، لم يعد لرجل دين بعد هذا الإعلان القدرة على الحديث عن عالم مقدس وعالم مدنس، ولا بإمكان الفيلسوف الحديث عن المحسوس والمثل او الظاهر والشئ في ذاته، حيث ستتخلص ثقافتنا من كل هذه الثنائيات (نيتشه، ٢٠١٠، هذا هو الانسان: ص ٧٤). وسيصبح الإنسان عندها هو المسؤول عن قيمه وافعاله وسلوكياته، ولا توجد بعد الان اي سلطة عليا تحدد قيمه أو سلوكياته، ويغدو هو مقياس الأشياء، وهو الذي يمنح قيمة للأشياء. لا تقف حدود نزع (قناع القداسة) عند الغاء الثنائية في الحقل المعرفي والأنطولوجي، بل لها آثار اخلاقية مدمرة ابعد من ذلك، فالقيم ستحرر وستعود الفضائل الى عالم الارض والجسد، وتعود للإنسان قيمه المسلوقة منه باسم قيم عليا وباسم الدين «لا تدعو فضيلتكم تقلع عن الاشياء الارضية وتظل تخبط بأجنحتها على جدران ابدية،

اعيدوا مثلي كل الفضائل المحلقة في التيه الى الأرض؛ اجل الى الجسد و الى الحياة، كي تمنح الارض معناها؛ معنى إنسانياً» (نيتشه، ٢٠٠٧، هكذا تكلم زرادشت: ص١٥٢). ان مهمة اعادة القيم والفضائل الى العالم الارضي تقتضي فضح القيم التي تستخدم (الفضائل كقناع) على حد تعبير نيتشه (نيتشه، ٢٠١١، ارادة القوة: ص١٨٩).

لذا يصح القول عن نيتشه انه « مدمر الأقنعة القديمة ومبتكر اقنعة جديد »
(kaufman,1950 Nietzsche: philosopher, psychologist, antichrist, Princeton,p:24). وهو أمر يعترف به على لسان زرادشت «ان نزع قناع الاخلاقيات المسيحية هو حادث فريد، كارثة حقيقية، ان من يلقي الضوء عليها هو (قوة كبرى)، قدر ومصير؛ انه يقسم تاريخ البشرية الى قسمين كالبرق» (نيتشه، ٢٠٠٩، هذا هو الانسان: ص١٨٢)، ويقول أيضاً: «من ينزع قناع الاخلاقيات ينزق في الوقت نفسه قناع عدم جدارة القيم التي يعتقد بها الناس او قد امنوا: انه لا يرى شيئاً جديراً بالتقدير في اشد الناس تبجيلاً - حتى في نمط الناس الذي اعلن انه مقدس، انه لا يرى فيهم سوى اشد انواع السقوط باعثاً على المأساة المميتة» (نيتشه، ٢٠٠٩، هذا هو الانسان: ص١٨٢-١٨٣).

قسم نيتشه الأخلاق إلى قسمين بناءً على وجود نوعين من الأجناس، جنس الأسياد الاحرار و جنس العبيد المقموعين والمتألمين اللا- احرار. ولكل واحد من هذه الأجناس مجموعة من الصفات ميزته ومكنته من صياغة أخلاق وفقاً لصفاته. فالصفات التي يحملها السادة الاحرار هي صفات الغلبة والشموخ والنفس السامية التي تحتقر كل ما هو جبان وخائف ومتردد والحريص على المنفعة الضيقة، اما صفات العبيد اللا- احرار فهي نابعة من شعور من روح الانتقام فكل ما يفكر به الانسان المغلوب والمستضعف إنما هو قناع للانتقام من سيده المتسلط عليه. وهذا منذ أن بدأت الحضارة المسيحية بصورة خاصة (نيتشه، ٢٠٠٣، ما وراء الخير والشر: ص٢٤٩-٢٥٠)، فالأخلاق من وجهة نظره ليست سوى قناع يتوارى خلفه حسد المستضعفين من سادتهم ليقيدوا سلطاتهم وقوتهم. ويرى نيتشه ان مصدر هذه القيم (قيم السادة العبيد) قد جاء إلى ثقافتنا الحالية مع بداية اليهودية والمسيحية (نيتشه، ١٩٨١، اصل الاخلاق وفصلها: ص٣٠).

ان تباعات نزع قناع القداسة عن فكرة الحقيقة لم يقف عند حدود إلغاء وجود عالم الحقيقة، واعادة الاعتبار لقيم السادة على حساب قيم العبيد، بل أدت الى الغاء طرق الوصول الى تلك الحقيقة، فلا معنى مثلاً بعد الان لقوله الزهد طريقاً لبلوغ الحقيقة، ولم يعد الزاهد عرافاً للحقيقة بعد هذا الإعلان (إعلان موت الله)، وهو يرى في الزاهد مجرد شخص مراوغ يرتدي قناع الزهد من أجل الشعور بالأمان «تتمتع الروح بتعدد ومراوغة اقنعتها، كما تمنح الشعور بالأمان» (نيتشه، ٢٠٠٧، هكذا تكلم زرادشت: ص١٩٤)،

ويقول أيضاً: «ما الذي يعنيه المثل الزهدي في جميع أشكاله؟ بالنسبة للفنانين لا يعني شيئاً، وقد يعني في بعض الأحيان أشياء كثيرة، بالنسبة للفلاسفة وللعلماء يعني شيئاً من قبيل السليقة والغزيرة من أجل تلمس الشروط الملائمة للروحانية الرفيعة... وهو يعني عند الكهنة الإيمان الكهنوتي الحقيقي، أداة نفوذهم المفضلة، أيضاً رخصتهم (العليا) التي تخولهم الوصول إلى السلطة، وهو أخيراً عند القديسين ذريعة للنوم الشتائي، راحتهم في العدم (الله)، وتجلي عتھم وداءهم العقلي؛ على العموم هذا التنوع في معنى المثل الزهدي عند الإنسان الطابع الجوهرى للإرادة البشرية؛ خوفه من الفزع : انه بحاجة إلى هدف حتى يفضل إرادة للعدم على ان لا يكون له إرادة ابداً» (نيتشه، ١٩٨١، أصل الأخلاق وفصلها: ص٩٥). بعد الغاء فكرة الله وفكرة العالم الحقيقي، لم يعد المثل الزهدي طريقاً صالحاً للوصول إلى الحقيقة، ولا مخبأً لها، ولا أحد يتحمل اعباء ومسؤولية الزهد بعد ان نُزِعَ قناعه (دولوز، ٢٠١١، نيتشه والفلسفة: ص٢٧).

يصف نيتشه السبل التي سيطرت بها المثل الزهدية على الوعي الانساني، وزيفته، عبر تقنية استخدام ثلاثه اشكال للأقنعة التنكرية فيقول تحت عنوان (الشبقية و تقناتها): «اولاً عبر تنكرها في شكل مثالية (افلاطون) خاصة مرحلة الشباب، ثانياً تنكرها في ديانة المحبة، وثالثاً في الفن كقوة تزيينية» (نيتشه، ٢٠١١، إرادة القوة: ص١٤٩).

٤- أقنعة نيتشه - الاختفاء والتجلي

على الرغم من رفض نيتشه التخفي وراء قناع القداسة، إلا انه لم يخف إعجابه بالقناع بكل شيء عميق (نيتشه، ١٩٨١، أصل الأخلاق وفصلها: ص١٢٢-١٢٣)، فهو يرى ان النوع الإنساني كلما ارتفع وارتقى ازداد استخدامه للقناع (نيتشه، ٢٠٠٣، ما وراء الخير والشر: ص٢٦٥)، فالقناع عنده وكما ذكرنا يمثل إستراتيجية فلسفية لها ارتباطات متنوعة، وعلى حد قول دولوز: «كل شيء قناع، لدى نيتشه» (دولوز، ١٩٩٨، نيتشه: ص١١)، فالقناع بشكل عام و كما وصفناه سابقاً لا يستخدم للإخفاء والتمويه فقط، بل يستخدم لإظهار ولإشهار هوية جديدة أيضاً، غالباً ما تكون بعد حدث مأساوي ولعل قدر نيتشه قدر كل الأبطال الخارقين الذين بدأوا حياة القناع بعد تجربة قاسية. فعلى سبيل المثال (Batman) فقد والديه، ورجل العنكبوت (spider-man) فقد عمه الذي تولى تربيته بعد والده (Langley, 2012, Batman and psychology, p:62-63). فخسارته لوالده في سن مبكرة اثر حادث مؤسف، سبب له صدمة موجعة يذكرها نيتشه بقوله: «لقد مات ابي في سن السادسة والثلاثين، لقد كان مريضاً و محبوباً، ورفيقاً، اشبه بمن كتب عليه المصير ان يعيش عمراً قصيراً، وفي هذه السنة نفسها التي انهارت فيها حياته انهزت انا أيضاً... تدنت حيويتي الى أدنى نقطة لها» (نيتشه ، ٢٠٠٩، هذا هو الانسان: ص٢٣).

فهذا الحدث كان مصدر للألم ولخيبات الأمل لنيته، فبعد ان انهارت حياته انهارت هويته ايضاً، فأنشأ هوية جديدة محاولاً اعطاء قيمة جديدة للعالم الذي لم يعد له معنى. هذه الالية نشهدها عند أغلب الأبطال الخارقين، فحياة هؤلاء الأبطال طالما كانت مرتبطة بشدة بحدث دراماتيكي ومترافقة بالحزن وبتجربة العيش. وليس غريباً ايضاً ان يكون الأبطال الخارقين دوماً هم من اليتام، ولعل في ذلك إشارة الى افتقارهم للرعاية وغياب التعليم الذي يخلق فراغ في المعنى لدى هؤلاء الأبطال، فيجدون أنفسهم مضطربين بسبب المواقف الموجهة والمؤلمة، التخفي خلف هوية خاصة بهم تمنح للعالم من حولهم معنى وجدوى (Satre, 2001, Being and nothingness in phenomenological ontology, p:262). فسوبرمان نيتشه او (الإنسان الاعلى) هو تجلي لهوية جديدة، ولولادة جديدة بعد الاحداث المأساوية التي تعرض لها، على مرّ حياته من خسارة والده الى فقدانه للصحة والاصدقاء وهو ما يؤكد نيتشه بقوله ان هذه الاحداث سبب وراء هذه الولادة الجديدة «ان بعض الناس يولدون بعد وفاة والديهم» (نيتشه، ٢٠٠٩، هذا هو الانسان: ص ٧١).

ان ارتداء نيتشه قناع القوة (الانسان الاعلى) يأتي من اجل الظهور بمظهر القوي من جهة قناع اظهار لإخافة اعداءه، وكقناع اخفاء لضعفه ومرضه وحاجته للأصدقاء » غالباً ما يهاجم المرء، ويخلق عدواً كي يخفي انه عرضة للاعتداء» (نيتشه، ٢٠٠٧، هكذا تكلم زرادشت: ص ١١٥)، فالتخفي تحت قناع القوة هو دليل على اخفاء للضعف والوهن الذي يشعر به واخفاء حساسيته العالية، وانسانيته المفرطة في الانسانية، ولعل تسميته احد كتبه بعنوان (انسان مفرط في انسانيته) دليل على ذلك الضعف وعلى تلك الانسانية المفرطة، حتى انه يصف دوافعه وراء هذا الكتاب بالقول: « كم كنت بحاجة في احيان عديدة الى البحث عن ملجأ لي في ضروب متنوعة من الاعجاب والاعداء، في منحة علمي او في نزق او حماقة من اجل الاستراحة من نفسي، ومن اجل ان انسى نفسي لفترة من الزمن... اني اشعر بالحاجة اليه من اجل علاجي واستعادة عافيتي هو الايمان بانني لست وحيداً» (نيتشه، ٢٠١٤، انسان مفرط في انسانيته: ص ١١-١٢ ضمن توطئة المؤلف).

يستخدم نيتشه القناع بتقنيات اخرى ولأهداف اخرى، فهو يتنكر بقناع الصحة ليخفي به المرض، وهذه تقنية التفلسف من رواء الاقتعة، يرصدها جيل دولوز بقوله: « لدى نيتشه الصحة و قناع اول لعبقريته، والآمه قناع ثانٍ لعبقريته ولصحته في الوقت ذاته» (دولوز، ١٩٩٨، نيتشه والفلسفة: ص ١١). ونيتشه يتقن استخدام هذه التقنية بادراك جيد منه «قد يصلح المرض ان يكون باعثاً قوياً على الحياة وعلى وحدة الحياة، وهكذا كانت نظرتي لفترة مرضي الطويلة: لقد بدأت آنذاك كما لو كنت قد اكتشفت حياتي من جديد، اكتشفت ما تتضمنه ذاتي» (نيتشه، ٢٠٠٩، هذا هو الانسان: ص ٢٦). فمرض نيتشه كان

حافزاً للإبداع، ومن خلاله استطاع النظر الى الصحة ومن الضعف استطاع النظر الى القوة. كان نيتشه كلما اشتد عليه المرض كانت تشدد دعوته للقوة والصحة، فالحكم على قيمة الصحة جاء بعيني مريض وحكمه على قيمة القوة بحكم شخص شديد الحساسية او مفرط في حساسيته فنجدته يقول تحت مقال بعنوان (لماذا انا حكيم جداً): «انني اخصائي في مسائل التدهور والانحطاط؟ انني امتلك السيكولوجيا الخاصة (برؤية ما وراء الزاوية)، انني امتلك رؤية المفاهيم والقيم الاكثر صحة من وجهة نظر المريض والعكس ايضاً، رؤية العمل السري لغريزة الانهيار من الوفرة والثقة بالذات لحياة غنية، هذه هي تجربتي الرئيسة، وهو ما تدربت عليه كثيراً» (نيتشه، ٢٠٠٩، هذا هو الانسان: ص ٢٥). ان حركية نيتشه في التخفي وراء قناع الصحة لمعرفة حقيقة المرض، والتخفي وراء القوة لمعرفة الانحطاط الموجود في عصره يسميها جيل دولوز بـ (نقل المنظورات) فالمرض عنده يصبح اداة لتقويم الصحة، والصحة تغدو اداة لتقويم المرض فمن الصحة الى المرض، من المرض الى الصحة، استطاع وضع طريقة خاصة به في التفلسف (دولوز، ١٩٩٨، نيتشه والفلسفة: ص ١٠)، إن إدمان نيتشه على تقنية التنكر بـ (قناع الصحة والمرض) دفعت البعض من اصدقائه الى الاعتقاد ان جنون نيتشه كان (قناعه الاخير) وان جنونه بحد ذاته القناع الذي يخفي معرفة محتومة واكيدة جداً (دولوز، ١٩٩٨، نيتشه والفلسفة: ص ١١). وفقاً لحركية التقنع في فلسفة نيتشه يمكن تفسير كثير من مضامين فلسفته فدعوته للوحدة والعزلة، يمكن عدها دعوة مقنعة لإخفاء مرضه ووهن جسده فالأشخاص الاصحاء هم اقدر على التواصل ويستمتعون بالتواصل مع الاخرين، اما الشخص المريض والمتعب لا يقدر على التواصل ويميل الى العزلة، من اجل الحفاظ على ما تبقى من الصحة. فعندما يدعو نيتشه الى الوحدة بقوله: « فرّ الى وحدتك يا صديقي، اني اراك مخدراً بصراخ الرجالات العظام ومرمي بإبر الصغار» (نيتشه، ٢٠٠٧، هكذا تكلم زرادشت: ص ١٠٧)، نرى فيها دعوة لتبرير الضعف ولتمجيد الضعف، ونفهم من قيمة الوحدة والدعوة الى العزلة التي ترد في كل كتاباته كإحدى الفضائل الاربعة التي يجب التحلي بها الى جانب فضائل اخرى مثل الشجاعة والتبصر والتعاطف، هي مجرد قناع للتخفي بسبب المرض «ليظل المرء متمسكاً بتملكه بفضائله الاربعة؛ فضيلة الشجاعة وفضيلة التبصر وفضيلة التعاطف وفضيلة الوحدة. ذلك ان الوحدة فضيلة عندنا، كنزوع مقدس للنقاوة يجعلنا نحس كيف ان احتكاك الانسان بالإنسان داخل المجتمع يؤدي حتماً الى التدنس» (نيتشه، ٢٠١١، ارادة القوة، ص ٢٧١). اذن يفهم من دعوة نيتشه للوحدة والعزلة دعوة تنكيرية لتبرير عدم قدرته على التواصل بسبب تدهور حالته الصحية الصعبة الذي وصل الى حد كبير حتى انه لم يستطيع الكتابة الا نادراً ولم يستطيع ان يعاشر احداً ولا حتى بمقدوره سماع

الموسيقى (نيتشه، ٢٠١٤، انسان مفرط في انسانيته: ص ١٦).

لم يقف تنكر نيتشه في تأديته ادوار الصحة المرض تحت الاقنعة السابقة، بل تبنى اقنعة اخرى لإخفاء توتره النفسي والاستمتاع بقدرته على التلاعب بالآخرين، كما يفعل الممثل المسرحي تماماً. فالتوتر النفسي الذي مرّ به نيتشه بسبب خسارته لـ (فاغنر) الفنان الموسيقي الذي اعجب به، قبل انهيار ذلك الاعجاب وتحوله الى عداء شرس انتهى بوصف فاغنر بانه سبب من اسباب التخلف والانحطاط (ديورانت، ١٩٧٥، قصة الفلسفة: ص ٥٠٨)، وكذلك رفض الفتاة الوحيدة التي احبها (لوسالومي) الارتباط به بعد ان تقدم لها، دفعه الى ارتداء قناع اخر يسميه نيتشه بقناع (القسوة الرقيقة) على حد توصيف « القسوة الرقيقة باعتبارها فضيلة، هذه اخلاقية تقوم كلية على الحاجة الى التميز، ... نطمح للإساءة للآخر، ونشعره بالعجز والضعف؛ نريد ان نذيقه مرارة مصيره بجعله يتذوق حلاوة عسلنا، ها هو قد اصبح متواضعاً بشكل كلي، ابحتوا عن الذي كان يسعى منذ مدة لتعذيبهم بتواضعه وستجدونه! هذا الذي يظهر رفقة بالحيوان فيثير اعجاب الناس بذلك، ولكن يطلق العنان لقسوته تجاه بعض الناس» (نيتشه، ٢٠١٣، الفجر: ص ٣٢)، ويقول ايضاً: «ما هي اخلاقيات التميز، في نهاية المطاف، ليس الا المتعة الناتجة عن قسوة رقيقة» (نيتشه، ٢٠١٣، الفجر: ص ٣٢)، ولعل هذه القسوة الرقيقة هي ما تفسر لحظة انهياره الدراماتيكي الاخير، عندما رأى سائق عربة، وهو يضرب حصانه بقسوة مفرطة، فصرح بشدة وركض عبر الباحة ورمى بذراعيه حول عنق الحصان، وفقد وعيه وسقط وهو ما يزال ممسكاً بعنق الحصان، ونقل على اثر هذا الحادث الى غرفته، وبقي مغشياً عليه فترة طويلة، وعندما استفاق لم يعد اليه وعيه كما كان (بدوي، ١٩٨٤، الموسوعة الفلسفية، الجزء الثاني: ص ٥٠٨)، لكن على الرغم من هذه الشفقة المفرطة تجاه الحيوان لم يبدى نيتشه اي رحمة تجاه الآخرين، وهو تناقض الا على يفسر الا وفق رؤية نيتشه نفسه لمفهوم (القسوة الرقيقة)، كذلك نجد موقفه من النساء يخضع للمفهوم نفسه فنراه يقول: «اذا ذهبنا الى النساء فلا تنسى السوط» (نيتشه، ٢٠٠٧، هكذا تكلم زرادشت: ص ١٣٣)، فالموقف من النساء فيه قسوة تجاههن، وهذه القسوة تخفي ضعفه تجاه النساء، وتجمل تجربته القاسية مع الفتاة التي اعجب بها (لوسالومي)، لذا يمكن القول تحت قناع القسوة الرقيقة يمكن العثور على (لوسالومي).

خلاصة القول حساسية نيتشه المفرطة، ومشاعره الرقيقة، كانت تقف وراء تنكره بأقنعة القسوة والصحة والبطولة، واذا ارتدى زعيم القبيلة كان قديماً، وكاهنهما، وساحرها، قناعاً دينياً للسيطرة والترهيب، فان نيتشه ارتدى اقنعة مرغماً لإظهار هوية جديدة، بعد ما مرّ به من تجارب قاسية.

الخاتمة

حظي القناع في الثقافة المعاصرة بحضور مميز في أغلب الحقول الفنية والثقافية والاجتماعية واصبح جزء من الواقع المعاش، واذا كان لهذا الحضور المميز جذور تاريخية وثقافية وحضارية عميقة، ويمكن اختصار القول في البحث في دلالات القناع في المراحل الاولى، بان للقناع وظيفتين اساسيتين هما وظيفة طقسية تمنحه السلطة، ووظيفة للتمويه والتنكر، واستمر هذا الاستخدام للقناع في الحضارات القديمة، فاستخدم للتماهي مع الالهة، فالأساطير اليونانية القديمة عرفت نوعين من القناع (القناع الطقسي والقناع المسرحي)، وبقي القناع محافظاً على حضوره القوي في المسرح الشرقي الذي اضاف له وظيفة جمالية، كذلك حضر القناع بقوة في الحقل الفلسفي، وتعد فلسفة نيتشه، مثال على قدرة الفلسفة على توظيف دلالات القناع توظيفاً فلسفياً، حيث وجد نيتشه نفسه في عصر اشبه بحفلة تنكرية، واغلب قيم عصره مجرد قيم زائفة مخادعة ومتنكرة، فما كان منه إلا أن يعمد الى مطرقته ليدمر تلك الاقنعة ويحطمها، ليكشف عن الوجه الحقيقي المتخفي، حيث نزع قناع القداسة عن عالم الحقيقة، ليغدو مجرد فكرة زائفة من اختلاق العقل البشري، ونزع قناع الاخلاقيات المسيحية، رغبة منه في إعادة الفضائل الى الإنسان، ولتخلص القيم من أي عالم مفارق للحياة وللواقع المعاش، وعلى الرغم من رفض نيتشه التخفي وراء الاقنعة إلا انه لم يخف اعجابه بالقناع وبكل شيء عميق، فهو يرى ان النوع الانساني كلما ارتفع وارتقى ازداد استخدامه للقناع. لذا كان القناع عنده بمثابة كاستراتيجية فلسفية ذات ارتباطات كثيرة، اي ولم يكن حضوره عابر اقتصر عند حدود النقد والتدمير، بل يصح القول ان كل شيء في فلسفة نيتشه هو (قناع)، فاذا أرتدى قديماً زعيم القبيلة، وكاهنها، وساحرها، قناعاً دينياً للسيطرة والتهيب، وإخافة اعداءه، نجد نيتشه ايضاً يرتدي اقنعة متعددة للتمويه بالقوة، وإخفاء ضعفه وحساسيته المفرطة من جهة، ولإظهار هوية جديدة مغايرة تماماً لشخصيته الحقيقية، فهوية (الانسان الاعلى - السوبرمان) هي قناع يختفي وراءه بعد كل الحوادث المأساوية التي مرت في حياته، ليعيد رسم خارطة القيم من جديد، على وفق ما يتناسب مع شخصية هذا البطل، وهوية هذا القناع، وهو امر معتاد لدى كل الابطال الخارقين الذين بدأوا حياة القناع، بعد تجربة قاسية، وحوادث مأساوية، مرت بهم، لذا يصح ان نقول ان نيتشه اكبر مدمر للاقنعة القديمة ومبتكر اقنعة جديدة.

المصادر

المصادر العربية:

١. ابراهيم، الزهرة، الطبعة الاولى، (٢٠٠٩)، الانثروبولوجيا والانثروبولوجيا الثقافية، سوريا

- دمشق، تقديم: خضر الآغا، النايا للدراسات والنشر والتوزيع.
٢. ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين، بلا تاريخ، لسان العرب، المجلد ٨، بيروت - لبنان، دار صادر.
٣. أرسطو، بلا تاريخ، فن الشعر، ترجمة وتقديم وتعليق: ابراهيم حمادة، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية.
٤. بدوي، عبد الرحمن، الطبعة الاولى، (١٩٨٤)، الموسوعة الفلسفية، الجزء الثاني، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٥. دولوز، جيل، نيتشه، الطبعة الاولى، (١٩٩٨)، ترجمة: اسامة الحاج، بيروت - لبنان، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع.
٦. دولوز، جيل، الطبعة الثالثة، (٢٠١١)، نيتشه والفلسفة، ترجمة: اسامة الحاج، بيروت - لبنان، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
٧. ديورانت، ول، الطبعة الثالثة، ١٩٧٥، قصة الفلسفة - من افلاطون الى جون ديوي، ترجمة: فتح الله المشعشع، بيروت-لبنان، منشورات مكتبة المعارف.
٨. الزيارات، احمد حسن، (بلا تاريخ)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الجزء الاول، اخراج ابراهيم مصطفى، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، القاهرة، مصر، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع.
٩. عبد النور جبور، وسهيل ادريس، الطبعة السابعة، (١٩٨٣)، المنهل، قاموس فرنسي - عربي، بيروت، دار العلم للملايين.
١٠. نيتشه، فريدريك، (٢٠١١)، ارادة القوة، ترجمة: محمد الناجي، الدار البيضاء-المغرب، افريقيا الشرق.
١١. نيتشه، فريدريك، الطبعة الاولى، (١٩٨١)، اصل الاخلاق وفصلها، ترجمة: حسن قبيسي، بيروت- لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
١٢. نيتشه، فريدريك، (٢٠١٣)، الفجر، ترجمة وتقديم: محمد الناجي، الدار البيضاء-المغرب، افريقيا الشرق.
١٣. نيتشه، فريدريك، (٢٠٠٩)، هذا هو الانسان، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، بيروت، درار التنوير للطباعة والنشر.
١٤. نيتشه، فريدريش، الطبعة الاولى، (٢٠١٤)، انساني مفرط في انسانيته - كتاب للمفكرين الاحرار - الكتاب الاول - ترجمة: علي مصباح، بيروت - بغداد، منشورات دار الجمل.
١٥. نيتشه، فريدريش، الطبعة الاولى، (٢٠١٠)، غسق الاوثان او كيف نتعاطى الفلسفة قرعاً بالمطرقة، ترجمة: علي مصباح، بيروت - بغداد، منشورات الجمل.

١٦. نيتشه، فريدريش، الطبعة الاولى، (٢٠٠٣)، ما وراء الخير والشر - تباشير فلسفة المستقبل، بيروت - لبنان، دار الفارابي.
١٧. نيتشه، فريدريش، الطبعة الاولى، (٢٠٠٧)، هكذا تكلم زرادشت، كتاب للجميع ولغير احد، ترجمة: علي مصباح، كولونيا (المانيا)-بغداد منشورات الجمل.
١٨. الياس، ماري (وآخرون)، (بلا تاريخ)، حنان قصاب حسن، المعجم المسرحي، بيروت، لبنان مكتبة لبنان ناشرون.
١٩. يوسف، حسن، (٢٠٠٠)، المسرح والانثروبولوجيا، البيضاء، المغرب، مؤسسة دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- المصادر الاجنبية:

20. Kaufman, W. 1950, *Nietzsche: philosopher, psychologist, antichrist*, Princeton, NJ: Princeton university, published.
21. Langley, Travis, (2012), *Bat man and psychology, A dark and stormy knight*, , Hoboken, John Wiley and sons.
22. Sartre Jean - Paul, (2001), *Being and nothingness in phenomenological ontology*, trade, ingles' di Hazel Estella Barnes Barnes, , New york, citadel.
23. Vattimo Giovanni, (2007), *Il soggetto e la maschera, Nietzsche e il problema della Bompiani, Milano, liberazione.*